حكايات نبوية

٩

يا عمر! أتدري من السائل؟

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

إلى أَحْضَانِ الطَّبِيعَة

في تَمامِ السَّاعةِ العَاشِرَة من صَباحِ يومِ الإثْنينِ.. صَعِدتِ الطَّالِباتُ الباصَ الكَبِيرَ.. بينَما وُضعتِ الأغراضُ في سيَّارةٍ صَغيرةٍ..

وبعدَ إجرَاءِ التَّفقّدِ العَامِّ.. صَعِدتِ المُديرةُ والآنساتُ إلى البَاصِ.. وبعونِه تَعالى تحرَّكَ المَوكبُ إلى البَسَاتينِ المُحِيطةِ بالمدينَةِ.. ولمَّا وَصَلُوا إلى قُربِ نَبعِ النَّهرِ.. استشَارتِ المُديرةُ بَعْضَهم عن مكانِ الجلوسِ والاستراحَةِ..

وتَمَّ اختيارُ سفحِ الجَبلِ الشَّرقِيِّ ، حيثُ الأَشجارُ الضَّخمةُ.. وأَصواتُ الطُّيور والبلابِل..

وأنغام هَديرِ المِيَاهِ.. والنَّسيمِ العَليلِ يَهبُّ من الجِهَةِ الغَربيَّةِ فيلتقِي معَ البُخارِ المُتصَاعدِ من النَّهرِ.. فتتكوَّنُ الرُّطوبةُ و..

أَجلْ!

ما أجملَ الجُلوسَ في أَحضانِ الطَّبيعةِ..

وبدأَ برنامجُ الرِّحلةِ ، حيثُ وُزِّعتِ الأَدوارُ بشكلٍ مُنظَّم ودَقيقٍ..

فَهَذِهِ تقومُ بِغَسلِ الخُضْرَاواتِ.. ، وتلكَ تَقومُ بإعدادِ الشَّاي.. ، والثَّالثةُ تقومُ بتقطيعِ اللُّحومِ ، والأُخرَى تُشعلُ النِّيرانَ.. وهكَذا.

إنَّه اللَّعِبُ.. والمَرحُ

وبعدَ تَنَاولِ وَجبَةِ الغَداءِ.. قَالتِ الآنسةُ (لُبنى): لَديكنَّ ساعةٌ كَامِلةٌ للَّعبِ والمَرحِ لكنْ إيَّاكنَّ والألعَابَ المُؤذِيَة..

وانْطَلَقَتِ الفَتياتُ وكأنَّهنَّ الفراشاتُ الصِّغارُ..

هذه تَلعبُ مع صَديقاتِها تحتَ الشَّجراتِ الضَّخْمَةِ.. وتلكَ الفتاةُ قامتْ معَ صديقاتِهَا بِوَضعِ (أُرجوحَة) على غُصنٍ كبيرٍ.. ، وهاتيكَ الفتياتُ رُحنَ يمارسنَ مُسابقاتِ الرَّكْض..

بينمَا جَلستِ الآنساتُ والمُدِيرةُ يَتحاوَرْنَ حولَ كيفيَّةِ تنفيذِ برنامجِ الرِّحلةِ السَّعيدةِ...

قالتْ (لؤلؤةُ) ابنةُ المُديرَة: يَا وَالدتي! ماذا تَعنِي كلمَةُ السَّاعة؟ هلْ هيَ سَاعَة اليَدِ ، أم سَاعة الحَائِطِ ، أمْ شيئاً آخرَ؟

لقدْ سمعتُ المذيعَ عَبرَ إذاعةِ البَاصِ يقولُ: هناكَ علاماتٌ معينةٌ للسَّاعةِ ، ولمْ أفهمْ من ذلكَ شَيئاً.

فقالتِ الآنسةُ (لُبابة): إنَّها لفتةٌ رَائعةٌ من (لُؤلؤة).

فلمَاذَا لا نَستغلُّ هذهِ الرّحلةَ لتوجيهِ دَرسٍ في أركانِ الإيمانِ ، وأَركانِ الإسلاَمِ ، ونَحْو ذَلكَ.

هَزَّتِ المديرةُ رأسَها وقَالتْ: ولكنَّ الكبَارَ من الفَتياتِ يعرفنَها.

أَجابِ الآنسةُ (لُبابة): نَعم ، ولكنْ من بَابِ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قَالتِ المديرةُ: إذا كانَ الأمرُ كذلكَ ، فالأَفضلُ أن يكونَ الدَّرسُ بأُسْلوبٍ قَصَصيٍّ جَذَّابٍ.. وهذا ما تُجيدهُ الآنسةُ (لَبيبة).

وعلى ضفافِ النَّهرِ

وبعدَ شُربِ الشَّاي المُعطَّرِ خَلتِ الآنسةُ (لبيبةُ) بِنَفْسِهَا.. وذلكَ تحتَ شجرةِ زيتونٍ عَظيمةٍ.. وفكَّرَتْ بطَريقةٍ شَيِّقةٍ تُقدِّم فيها ما أشارتْ إليهِ المُديرةُ (لُبابة).

وعندَ انتهاءِ المدَّة المحدَّدةِ للَّعبِ والمَرحِ.. جَاءتِ الطَّالباتُ إلى مكانِ التَّجمعِ ، فوَقفتِ المُديرةُ وقالتْ:

إنَّنا سنجتمعُ قُربَ ضفافِ النَّهرِ.. لِنستَمِعَ إلى حِكَايةٍ أو كَلمةٍ من الآنسةِ (لَبيبة).

وفَرحتِ الطَّالباتُ لذلكَ ، فهُنَّ يعلمنَ مَدَى القُدرةِ الفَائِقةِ التي تَتَمتَّعُ بها الآنِسَةُ (لبيبة) ، وخاصَّة في الإلقَاءِ.. والقَصصِ.. والمسْرحيَّاتِ وما إلى هنالكَ..

في بيتِ النَّبيِّ ﷺ

وبدأتِ الآنسةُ (لَبيبَة) حكايتَها بالقَولِ: في يوم من الأيّام ، وفي عَهدِ سيِّد الأَنَامِ ، عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، أرادَ اللهُ أنْ يتعلَّمَ المُسلمونَ دَرْساً عَمَلياً..

فأرسلَ جبريلَ عليهِ السَّلامُ إلى الرَّسولِ ﷺ... ، وكانَ عندَهُ بعضِ الصَّحابةِ الأكارمِ ، ومنهمُ الفَارُوقُ عُمر رضيَ اللهِ عنهُ..

ورَفعتِ الطَّالبةُ (نُور) يَدَهَا وقَالتْ: وَلكنْ كيفَ كانَ الإرسالُ ؟!.

وماذَا جَرى في ذلكُم اللِّقاء..؟!

قَالتِ الآنسةُ: إليكُم القصَّة يرويهَا عُمرُ بن الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ:

«بينَما نحنُ جلوسٌ عندَ رَسُول الله ﷺ ذاتَ يَومٍ ، إذْ طلعَ علينَا رَجلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ ، شَديدُ سَوادِ الشَّعرِ ، لا يُرى عليهِ أَثرُ السَّفَر ، ولا يَعرفهُ منَّا أحدٌ ، حتَّى جلسَ إلى النَّبيِّ ﷺ ، فأسندَ رُكبتَيهِ إلى رُكبَتيهِ ، ووَضعَ كفَّيهِ على فَخِذيهِ».

ثُمَّ راحَ جبريلُ يَسألُ رَسُولَ اللهِ بعضَ

الأَسئلَة ، ورسولُ الله صلواتُ اللهِ عليهِ يُجيبُ عنهَا...

ما هِيَ أَركانُ الإسْلاَم؟!

وكانَ أوَّلُ سُؤالٍ من جِبْرِيل للنَّبيِّ ﷺ.. والصَّحابةُ يَسْتمعونَ إلى الحِوَارِ: أَخبرنِي عنِ الإسلاَم؟

وَرَاحتِ الطَّالِباتُ يتحرَّكْنَ.. يُردْنَ المُشاركَةَ في الأَجوبَةِ.

تَابعتِ الآنسةُ الحكايةَ بِقولِها:

وحدَّدَ الرَّسولُ ﷺ أركانَ الإسْلاَمِ بخَمسِ أَركانٍ هيَ:

١ ـ الشَّهادةُ: وماذَا تَعنِي الشَّهادةُ يا طَالبَاتِ مَعْهَدِ تحفيظِ القُرآن؟

وارتفعتِ الأَصَابِعُ والأيَادِي ، تَستَأذنُ للإجَابَةِ..

وَتَمَّ اختيارُ الطَّالِبةِ (مُنتهى) فوَقَفَتْ وَقالت: الشَّهادةُ هيَ أنْ يشهدَ العبدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله ، وأنَّ مُحمَّداً رَسُولُ الله.

٢ - إقَامَة الصَّلاةِ: وأَشَارتِ الآنسةُ إلى الطَّالبةِ (لحَاظ)..

فكانَ جَوابُها: أن يقومَ المُسلمُ بِأداءِ الصَّلاةِ تَامَّةً غيرَ منقُوصَةٍ ، أي بأركَانِها وشُروطِهَا ، والخُشوعِ فيهَا ، والتَّوجُّهِ إلى اللهِ تَعالى بالدُّعاءِ والتَّضرّعِ ، والإكْثَارِ من ذِكْرِ الصَّلواتِ على المُصطَفى ﷺ..

٣ - إيتَاء الزَّكاة: وقَالتِ الطَّالبةُ (لَمياء) وهذهِ تَعني أنْ يُخرجَ الإنْسَانُ قَدراً مَعلوماً من مَالِهِ ، فَيُعطِيهِ للفقراءِ والمُحْتَاجِينَ...

٤ - وصَوْم رَمَضَان: وفيهِ من الحِكَمِ الشَّيءُ الكَثيرُ ، من ذلكَ مَثلاً: أنْ يَشعرَ الإنسانُ بالجوعِ والعَطَشِ ، ليتذكَّر وضعَ الآخرينَ الذينَ لا يجدونَ الطَّعامَ والشَّرابَ..

٥ - وحجّ بَيْتِ الله الحَرام لمنِ استطاعَ إلى ذلكَ سَبيلاً: وأشَارتِ الآنسةُ إلى الطَّالبةِ ليلَى.. ، فوَقفتْ وقَالتْ:

معناهَا أنَّ الله تعَالى فرضَ على المُستَطِيعينَ الحجّ إلى بيتِ اللهِ الحَرامِ ، وذلكَ بهدفِ أنْ يَعيشَ الإنسَانُ بشكلٍ عمليٍّ التَّاريخَ الماضِي ، حيثُ الطَّوافُ ، والسَّعيُ بينَ الصَّفا والمَروَةِ.. والذَّبحُ وما إلى هنالكَ.

فالسَّعيُ مَثلاً يعني إعَادةَ ما حدثَ مع (هَاجر).

حيثُ تركَها زَوجُها خَليلُ الرَّحمنِ إبراهيمُ

عليهِ السَّلامُ وعادَ إلى بلادِ الشَّام ، والتفتَتْ (هَاجرُ) ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ ، فلمْ تجدْ ماءً ولا نَباتاً ولا شَجراً.. ، وبدأَ ابنُهَا الرَّضيعُ (إسمَاعيل) بالبُكاءِ من شدَّةِ العَطَشِ.

فانطلقتْ بينَ جبل الصَّفَا.... والمَرْوةِ تبحثُ عن المَاءِ.. وفي الشَّوطِ السَّابع عادتْ لترَى الماءَ.. ماءَ زَمْزَمَ... وقَدْ تفجَّرَ من بينِ أصَابِعِهِ.

قَالَتِ الآنسةُ: هذهِ الأركانُ الخَمسُ هيَ أركانُ الإسْلام...

أمَّا الأركانُ السِّتّ فهيَ

تَابعتِ الآنسةُ الحكَايةَ ، قَائلةً:

فقالَ جِبريلُ: فَأخبرنِي عَنِ الإيمانِ يا محمَّد..

قالَ: «أنْ تؤمنَ بِاللهِ ، وملائكَتهِ ، وكُتُبهِ ،

ورُسُلِهِ ، واليَومِ الآخرِ ، وتؤْمِنَ بالقَدرِ خيرِهِ وشَرِّه».

ووقَفتِ الطَّالبةُ الصَّغيرةُ في السِّنّ (نَعّومة).. وقَالتْ: وما هيَ الكُتبُ يا آنستِي؟

ابتَسمَتِ الآنسةُ وقالتْ: سَتُجيبكَ عن هذا السُّؤال (ليلَى).

فقَالتْ (ليلَى): الكُتبُ السَّماويةُ هيَ التي أنزَلها اللهُ تعَالى على أنبيائِهِ.

وهي: التَّوراةُ التي أُنزِلتْ عَلى نبيِّه مُوسَى عليهِ السَّلامُ ، والإنجيلُ الذي أنزلَ على عِيسَى عليهِ السَّلامُ ، والقرآنُ الذي أُنزلَ على خاتَمِ النَّبيينَ ﷺ.

كيفَ يؤدِّي العبدُ العملَ على أَحسنِ وَجْهٍ؟

تابعتِ الآنسةُ (لَبيبة) الحكايةَ ، قائلةً:

فسألَ جبريلُ رَسولَ الله ﷺ: فأخبرِني عنِ الإِحْسَانِ؟

قالَ: «أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تراهُ ، فإنْ لم تكُنْ تَراهُ فإنَّهُ يَراكَ».

أي: أن تُراقِبَ اللهَ في كُلِّ الأَحوالِ.. ، فحتَّى إذا لمْ تكنْ تَراهُ أنتَ ، فإنَّه يراكَ هو.

فمَاذَا عَنِ السَّاعةِ؟

وسألَ جبريلُ رسولَ الله ﷺ عن يَومِ القِيَامَةِ ، فَكَانَ جَوابهُ:

أنَّه هو مثلُ جبريل لا يعلمُ عنهَا شَيئاً ، فالعِلمُ بالنِّسبةِ لهَا مَحْصُور باللهِ سُبْحَانَه.

لكنْ مِن أَمَاراتِها: أنْ يخرُجَ في الأُمَّة أُناسٌ كَانُوا حُفاةً عراةً يرعون بالشَّاةِ.

فتتدفَّقُ عَليهِم الأَموالُ من كلِّ مكانٍ..
فيَتَفَاخَرونَ بارتفاعِ المَبانِي و...!

وابتَسمَتِ الطِّفلةُ (لُؤلُؤة) وقَالتِ: الآنَ عرفتُ أنَّ السَّاعةَ تَعنِي يومِ القِيَامَة.

فمَا هوَ سرّ الحِكَايَة؟!

وأَكْملتِ الآنسةُ الحكايةَ بقولِهَا:

وانطلقَ الرَّجلُ من مَجْلِس الرَّسولِ ﷺ..

فَتوجَّه الرَّسولُ نَحو عُمَر وقَالَ: «يا عُمَر! أَتَدْري من السَّائل؟».

فقالَ عمرُ: الله ورسولُه أعلمُ.

فَقَالَ: «إنَّه جبريلُ أتاكُم يعلِّمكُم دينكُم».

والحمدُ لله ربِّ العالَمِينَ